رواية (هتلية) حكاية الضياع والاغتراب تحت خيمة الوطن (دراسة تحليلية)

أ.د. فليح كريم الركابي د. جاسم محمد حسين

جامعة بغداد/ كلية الاداب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Hitliya (Bad People) Novel: the Story of Being Lost and Estranged In One's Country: An Analytical Study

Prof. Dr. Flaieh Kareem Al-Rikabi\ College of Arts/ University of Baghdad

Dr. Jasim Muhammad Husain\ Ministry of Higher Education

Abstract

Iraq is the cradle of civilization since the times of Sumer and Babylon and this country is very rich which makes it a target to be invaded. Iraq, throughout the passage of time witnessed invasions. Such circumstances played role in forming the personality of the Iraqi people which differs from the others in the world.

المقدمة

الوجع العراقي قديم ألفناه، وتآلفنا معه منذ قرون من الزمن، ولم تكف تضاريس الوطن، لأن تكون ملاذا للهرب منه، أو التخفي خلف قممها الوهمية، على الرغم من أن العراق مهد الحضارة الانسانية الاول منذ سومروبابل، كما تقول كتب التأريخ والاثار، وهذا إرث حضاري خصّ الله به عباده في هذا المكان المقدس، فهنا بلد الثراء والنقاء والعلم والحضارة والشقاء، لذا تكالبت عليه الاقوام الاجنبية منذ القدم طمعا بخيراته، وأصبح موطن صراع، واقتتال، وموطن حضارة وثقافة إنسانية مستباحة، وهذه متضادات عجيبة ساهمت في تدفق الوعي الفكري عند مواطنيه، نتج عنه بناء شخصية لها مقوماتها الخاصة التي تختلف عن الشخصيات الاخرى في العالم، وقال عنها العلامة الكبير الاستاذ الدكتور علي الوردي (رحمه الله تعالى) (بأنه دون جوان تارة وحاج عليوي تارة أخرى)[١] أو (افلاطوني المظهر أبو عليوي الجوهر) فتصميم الشخصية العراقية فريد من نوعه، وهو توصيف دقيق جدا جاء جراء تلك الظروف المحيطة بالبلد، فأصبحت الشخصية مزاجية تحب بسرعة وتكره بسرعة، وتغضب بسرعة، وكثيرة الشكوى دائما حتى اذا استوفت حقها، تنتقد وتغتاب الاخر مهما كان موقعه، وتنافق وترائي وتثرثر، هكذا وصفها بعض الحكام والولاة الذين تعاقبوا على الحكم في العراق، وهي صعبة الانقياد، جراء موجات النزوح والترحال والانتقال التي شهدها البلد منذ القدم، وتشعر أن حقها سيغتصب اذا لم تتابعه دائما، ونحن نعلم أن تغيير المكان المستمر يخلق شخصية قلقة في طباعها، وعاداتها وبنائها وتكوينها ومزاجها، والاشخاص الذين يسكنون ويستقرون معها من الامم الاخرى يتأثرون بطباعها وقالبها، ويتصرفون مثلها، فلا ترضى عن من يحكمها أبدا على مرّ العصور، حتى لو كان قائدها عادلا كامير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الذي نقل الخلافة الى الكوفة وحكم فعلا الدولة الاسلامية من العراق، وهو رمزالعدل والمثال الذي لا يضاهيه أحد.

ومن الادلة على عدم الاستقرار والاتفاق في التأريخ الحديث عدم تمكن الطبقة المتنفذة من اختيار رئيس من العراق حين تأسست الدولة العراقية عام ١٩٢١ وفيه من الرجال الافذاذ الكثير، فذهبوا ليختاروا فيصل الاول ملكا عليهم من الحجاز، وهذا دليل على قلق تلك الشخصية وعدم استقرارها، ونرى اليوم الكل يطمح الى القيادة والرئاسة، ويناقش في أمورالسياسة، وينتقد سلطة الحكم من الفلاح الى البقال وعامل النظافة، الرجال والنساء على حد سواء، وذلك ما أثر سلبا على بناء الوطن، واختيار قادته، بسبب تلك المزاجية المتقلبة، فضلا عن أن عموم الشعب هم من البروليتاريا الرثة*، أوالطبقة المسحوقة والامية، وقد نجحت عندنا سياسة قيادة جديدة في المرحلة الاخيرة، حين منح الملايين من أبناء الشعب أصواتهم الى أناس لا يعرفون عن تأريخهم أي شيء، سوى أنهم – كما يدّعون– حملة بيرق المعارضة ضدّ النظام السابق، أوهم تيارات إسلامية، وقليل منهم الصادقون.

رواية هتلية (دراسة تحليلية):

ان رواية (هتلية) للراوي شوقي كريم حسن، هي من الروايات الحديثة لهذا القاص والتي اتخذت من واقع الشعب العراقي مادتها بل انموذج حي لها والتحدث عن واقعهم حتى الفاظهم، وهذا واضح من طراز (هتلية) تلك اللفظة الممتلئة بالمضامين، وتلك الرواية التي تحكي ضياع المواطن واغترابه تحت خيمة الوطن، فحين يقسو عليهم الحاكم يطيعوه، وينقادوا لحكمه، أما الحاكم الضعيف، فيسخروا منه ويتمرّدوا على حكمه، هذه حقائق تأريخية ملموسة، وهذا مما يؤسف له في بلد الحضارة، وذلك القالب من التصرف ثبّت الشخصية على هذا البناء ولا يمكن تغييره إطلاقا، على الرغم من التطور الحاصل في العلم والعالم والعلاقات الانسانية، فلا تستغربوا لان البناء الاجتماعي استقر هكذا، ونحن أبناء أولئك القوم نتوارث عاداتهم وطباعهم، والملاحظ أن العراقي حينما يهاجر من وطنه الى بلد آخر يكون ملتزما جدا بقواعد وأصول تلك البلدان، ويبدع ويكون من العلماء الاجلاء، وينسجم مع التركيبة الاجتماعية الجديدة، وكم من بلد أجنبي فيه العالم والطبيب المتميّز من أصول عراقية، وهذه حقيقة ملموسة، كذلك الاديب اللامع والمهندس والفنان والحرفي، وهناك أسماء نقشت نفسها في الحجر مثل المعمارية المرحومة زها حديد (رحمها الله)، وغيرها الكثير، الذين لا يحتفي بهم الوطن، فتكون الغربة ملاذاً وإبداعاً ومستقراً لاجداثهم.

الفضلاء في العراق أعمارهم قصيرة في الحكم، والطغاة أعمارهم طويلة، والفضلاء حكمهم يمرّ مرورا سريعا، ولكن يكون مؤثرا جدا في النفوس حين التذكر والاستذكار، وهذه مفارقة جميلة، وقد خلد لنا التاريخ الكثير من أولئك العظماء.

أبطال رواية (هتلية) شخصيات حقيقية ومتخيلة ممتدة في المراحل السابقة واللاحقة تحكي سيرة الذين ضحّوا من أجل العراق، وفي الضد هناك الذين نهبوا العراق وأهله، واستباحوا حقوقهم وأموالهم، وأوصلوه الى ما هو عليه الان، حيث اصبح والقتل منظرا مألوفا خاصة في التاريخ الحديث، فالعراقيون وقود حروب متواصلة منذ العقد الستيني حتى اليوم، آخرها حرب الارهاب الاعمى، الذي جعل البلاد في حالة فوضى واضطراب، وضياع الانسان والخيرات.

شوقي كريم حسن روائي عراقي سومري أصيل جريء في الطرح حين يمزج الواقع مع التراث ليقدم لنا معالجة شافية، ولاسيما في أعماله الروائية مثل (شروكية، خوشيّة) واليوم (هتلية) ذات البناء الروائي الممتع، وهو يتسلسل في عرض الشخصية العراقية من أسطورية الى واقعية حين تبحث عن السلطة والجاه والسلطان، فالشخصية المعاصرة التي تبحث جاهدة عن المنصب لابد وأن يكون فيها خلل وضعف تحاول أن تسدّه بسلطة المنصب والتسلط على رقاب الاخرين، وهذه الشخصيات تبحث عن الجاه والمال غير الحلال، ولا تبحث عن خدمة الوطن، وتحاول الاستئثار بالمال العام بشتى الوسائل، وقد قيل في الاثر: (طالب الولاية لا يولّى) مستمدا من حديث الرسول الاعظم (صل الله عليه واله وسلم): ((انا والله لانولي هذا العمل احداً سأله او احداً حرص عليه))، ولكن هذا غير متحقق اليوم، فطالب الولاية هومن يولّى، لذا شاع الفساد والرشوة، وسفك الدماء.

وقد هيمن بعض أبطال رواية (هتلية) على مقاليد الحكم، ومن هنا بدأت المعاناة، وهذا من الاسباب المهمة التي دعت الروائي الى طرح أفكاره الجريئة خلف هذا القناع داعيا الى الاصلاح، والخروج من محنة محدقة بالبلاد.

الشخصية من أهم مكونات العمل الروائي، فعن طريقها تسرد الاحداث وهي التي ((تقود الاحداث وتنظم الافعال وتعطي القصة بعدها الحكائي وفوق ذلك تعتبر العنصر الوحيد الذي تتقاطع عنده العناصر الشكلية الاخرى كافة))[٢].

الروائي شوقي كريم حسن يهتم كثيرا بالعنوان، الذي غالبا ما يأتي نكرة مقصودة، وخبر لمبتدأ محذوف، وهذا التنكير زاد العنوان تعريفا وجاذبية، وتأثيرا في نفس المتلقي ((أو أن الناس هكذا نطقوا اللفظة، فهي بنت البيئة العراقية الجنوبية))[٣]، الروائي أخذ اللفظة من المتداول اليومي المحكي، وفي هذا المتداول اليومي (حسجة)، والعنوان عتبة نصيّة أولى يطالعها القارئ حين النظرالى الكتاب أول مرة، حيث يعد المدخل أو العتبة النصية الاولى الى عوالم الرواية، والروائي يقصد ذلك بهذه التورية الجميلة، فالمعنى القريب الذي يذهب اليه ذهن المتلقي هم الشريحة عديمة الاخلاق في المجتمع لكن الروائي شوقي كريم حسن قصد البعيد وهم رجالات الحكم، وأعقبها بعبارة (ليست رواية) للتغريب وليزيدنا يقينا أنّها رواية، وهذا الاجراء يدفع القارئ غير المتخصص أن يتصفح هذا العمل لمعرفة

من هم (هتلية) لان الغرابة في استعمال المحكي اليومي تجذب الكثيرين الى الاطلاع والقراءة، وربما حب الفضول يدفع القارئ حتى غير المتخصص الى معرفة أسرار هذا العمل الفني.

الروائي شوقي كريم اختارعنوانا مهما في توصيف شريحة اجتماعية وسياسية وفكرية كي يثير كوامن النفس المتطلعة الى معرفة المزيد، فضلا عن أن التغريب في الالفاظ له تأثيراته في التشكيل البصري للعمل الادبي، وفي الايقاع المنظور، وقد قيل: (الكتاب يقرأ من عنوانه)، وهو من يحدث الجذب للقارئ، وأول ما تقع عليه عين المتصفح، فشوقي كريم روائي ماهر في انتقاء العنوان، والتخفي خلفه ليكون قناعا لا يدركه إلا الناقد المتفحص، وكان ماهرا في اختيار العنوانات الفرعية داخل الرواية حين سماها (رؤيا) فأوحى للقارئ أنها أحلام، طردا للشك والابتعاد عن المباشرة في الحديث، وبحثا عن السلامة، وعدم المساءلة، فالرمز يوهم الكثيرين، ويجنّب المبدع من الوقوع في مشكلات هو في غنى عنها.

يبدأ الروائي شوقي كريم أحداث رواية (هتلية) بقهقهة طويلة تعقبها أغنية عراقية مشهورة للمطرب سعدي الحلي الذي زيّنت صورته غلاف الرواية: (كلهه منك زاد همي وكثر...أنت وحدك علمتني السهر)[٤] إيقاع جميل واستهلال مؤثر ثم مقارعة الكأس والكلام بنقاء عن الاساطير التي ترمز الى واقع الحال المتهالك، متأثرا باسلوب المقامات للحريري والهمداني حين أرقص قردة في مقامته القرديّة: (إن ملكا حكيما من ملوكنا..أراد أن يفضّ بكارة الحكمة..ويقضّ مضاجع الارباب.. وسلطة الكهنة... فدرب قردة على الرقص.. وأن هذه الحيوانات، هي أجدر من يقلد الناس، وقد تعلّمت توّا ورقصت بعد أن تزيّنت بالارجوان)[٥] فلسفة الروائي عميقة جدا في الطرح، وتحمل الرمز في التعبير، وتحاول معالجة بعض جوانب الحياة بأسلوب صوفي، فأغلب الناس في هذا العصر يركضون وراء مصالحهم لا وراء المبادئ التي اضمحلت اليوم، وهذا دليل على تردي الوضع الاجتماعي والفكري والسياسي، وشيوع ظواهر مبتذلة، كما كانت الكدية في المقامة سابقا موضوعا اجتماعيا مهما في الادب العباسي، وقد حاول الهمداني وضع بعض المعالجات لها عن طريق ذلك الفن الادبي، وهنا يحاول الروائي شوقي كريم أن يضع حلولا لمشكلات مزمنة في المجتمع العراقي عن طريق السرد الروائي الفكاهي والساخر والاستهزائي.

واقع العراق اليوم حروب طاحنة منذ أربعة عقود من الزمن، والقادة يتلوّنون، ويخضعون الى مؤثرات خارجية، حين تحرك غالبيتهم أياد أجنبية، وهذا سبب المشكلات والتداعي، والافلاس الفكري والمالي على الرغم من غنى الوطن، وقد عالجها الروائي بأسلوب فكاهي ساخر جاد لان الفكاهة واحدة من الحلول الناجعة، وهذا من متطلبات العمل الفني، ولا سيما في استعمال تقنية القناع، فصورة الفنان سعدي الحلي قناع، وأغنيته هادفة وقناع آخر، و(هتلية) مجموعة أقنعة سار خلفها الروائي الذي عمل في المسرح وكتابة السيناريو كثيرا، والقناع ابن المسرح ونتاجه، فليس غريبا أن تحفل به أعمال شوقي كريم حسن الروائية، واستعمال الاقنعة وتوظيفها جاء في محله كي يبتعد عن المساءلة والملاحقة او التهديد، وهو ساخر من الواقع المتهالك.

نلاحظ أن الزمن عند الروائي شوقي كريم متشظٍ، وفيه ارتدادات رائعة تبدأ من سومر التي اتخذها قناعا الى مدينة الصدر في بغداد، لتكون إطلالة متميزة على ما نحن فيه، والمكان الكبير هو العراق الذي احتضن الاحداث المأساوية في العصر الحديث، والصراعات الدموية التي أفرزت لنا واقعا جديدا له خصوصيته، وتركيبته الاجتماعية الغريبة، حتى في البناء الامني، فالسيطرات غير المجدية منتشرة وجدران الاسمنت التي قطّعت الوطن الى أوصال مهيمنة على الواقع، ومن دون جدوى والتفجيرات كثيرة، ويعتقد القادة أن اجراءهم صحيح، وهذا وهمٌ وقرٌ في أذهانهم، فضلا عن شيوع الرشوة في المعاملات وعلى المستويات كافة، فاليوم تفرض رسوم على جنائز المقتولين في الطب العدلي تحت مسمّى الاكرامية، وهذا افراز اجتماعي سيء، يشيع في المؤسسات الصحية المتهالكة: (غيّر الواقف الى جانبي الورقة النقدية بكومة من الاوراق الحمر، ابتسمت اليد ودست المبلغ في جيب احتقارها، وما لبثت أن همست– من لا يدفع هذا المبلغ عليه أن لا يفكر باستلام جثته)[٦] كل شيء يبدو مسخت شخصيته وتحول الى (هتلية) اليوم حتى من يعمل في مكان تسليم الجثث الى أهلها يتعامل بالرشوة وبأسلوب فاسد، هذا وضع غريب ومقرف، ووضع اجتماعي جديد متردٍ، كيف يسوغ الانسان لنفسه أخذ الرشوة من أهل الميّت؟، ولاسيما في هذا المكان المنفّر الطارد الذي تآلفت معه تلك الشخصيات المرتشية، والذي

أصبح مورد رزقها الحرام، يحدده كثرة عدد المقتولين، وما يدفعه أهل صاحب الجثة، وحينما نعود قليلا الى الوراء، ونعقد مقاربة نلاحظ الحال كما هو حال حفار القبورعند الشاعر بدر شاكر السياب وهو يقول في مطلعها **:

ضوء الاصيل يغيم كالحلم الكئيب على القبور

وآه كما ابتسم اليتامى او كما بهتت شموع

يفرح الحفّار اذا مات الناس، لان ذلك الموت يوفر له عملا سخيا، وجنائز كثيرة، على الرغم من أن الحفّار يحصل على المال بتعبه لا بالرشوة، وهذا فرق كبير جدا، وعامل المشرحة في (هتلية) يُحدد مورده المالي بمقدارما يحصل عليه من الرشوة التي يفرضها على الجنائز، والتي تعطى له ويقتنع بقيمتها المالية، وقد قال المثل الشعبي (مسلب الجنازة) وهذا أسوء أنواع الرزق الحرام، وهو افراز اجتماعي سيء جراء كثرة الحروب، وكثرة عدد القتلى، وشحة الموارد المالية، ونتيجة من نتائج الحصار والدمار الذي حطم بناء الشخصية في العراق، وحطم بناء المدينة المعماري والنفسي، فالبناء الاجتماعي اليوم يحتاج الى إصلاح جذري، وقد استشرى الفساد في مؤسسات الدولة كافة.

أزمنة الروائي شوقي كريم حسن متعددة فيها أحداث الماضي وهو زمن الرواية الخطي، والحاضر المؤلم بفواجعه ومآسيه وهو الواقع، والمستقبل المبهم الذي يلفّ حياة الغالبية من الشعب، فلا تبصر بارقة أمل تلوح في الافق، الازمنة كلها ضجيج وعويل، فكان الفضاء الروائي صراعا من أجل الوجود والبقاء، وأحداثه الجسام، وأمكنته المرعبة كالسجن الذي عاش فيه الروائي، فتلبدت حياته بوحل المكان، وتأثرت كتاباته بأجوائه التعيسة (إن زمن الخطاب المقابل للمبنى الحكائي زمن خطي يخضع لنظام كتابة الرواية على أسطر صفحاتها في حين أن زمن الحكاية زمن متعدد الابعاد يسمح بوقوع أكثر من حدث في آن واحد الامر الذي ينشأ عنه ظهور مفارقتين سرديتين هما الاسترجاع والاستباق)[٧] فهناك زمن خطاب مفترض على الورق فيه أحداث عديدة، وهناك زمن حقيقي للحكاية يؤرخ للاحداث بدقة، وهناك فلاش باك، واستشراف للمستقبل (لا أدري بم أجيب، فلقد عجزت ذاكرتي عن ملاحقة كل الازمنة التي عشتها....فلقد باتت الاشياء تحدث فجأة، وتأخذنا الى حيث لا نريد فجأة، لتعلن انتماءنا الى الامكنة المعتمة الكثيرة الضجيج فجأة)[٨] فضاء رواية (هتلية) يمتد من سومر مروراً بحقب التاريخ حتى الواقع المرّ هذا اليوم في أحداثه وصراعاته وأمكنته، كان شوقي يبحث عن ذاته بين طيات الزمن في عراق الحروب والدمار، وقادة ألقى بهم الزمن علينا صدفة (وكان الرّب يرفض أن نضحك/ الرّب لا يريد منّا سوى دور الضحية الخاسرة أبدا....حوه...حوه..ليش مغرب واحنه النفخر بيك)[٩] هكذا هي حياة العراقيين نواح وبكاء، وضحايا من دون إرادتهم ارضاء للقيادة الحكيمة، وردّات أصبحت متداولة يعرفها حتى الصبيان، حين تأتي أجساد الشهداء يلفّها العلم، من جبهات القتال منذ العقد الستيني الى اليوم، ذلك العلم الذي تبدّل مرات، وتبدّل ترتيب أشكاله، وألوانه على مدار قرن من الزمن مرات عديدة بحسب رأي الحاكم وهواه، ذلك القماش الذي يلفّ الاجساد المحطمة، فيه خدعة للناس البسطاء، وهم يدفعون دماء أبنائهم ثمنا لبقاء عروش واهية، وربما ثمنا للقمة عيش معفّرة بالدم، وربما دفاعا عن العراق والانسانية.

الروائي شوقي كريم حسن حوّل الاحداث الى أحلام مكتوبة راودته في منامه بعضها يتطابق مع الواقع، والاخر شخصي متخيل، أوعاش تفاصيله في حياته الدراماتيكية، وبعضها افتراضي، وهو الراوي العليم والمهيمن الرئيس على نسيج روايته، ولا يتنازل عن إدارة السرد إلا في حالات بسيطة الى رواته حين يمنحهم الثقة في إدارة الاحداث، وتأجيج الصراع، ويبدو أنه حريص جدا على سرد الاحداث بنفسه، فالروائي لم يتنح جانبا ويفسح المجال أمام شخصياته بالحديث مع بعضها بحرية إلا قليلا لذا جاء الحوار قليلا في رواية (هتلية) وربما قصده الروائي، على الرغم من أنه جزء من السرد وهو (وسيلة تقنية تسهم في تطوير الحدث والسير بالخط الروائي الى الامام)[١٠] والحوار المباشر يبين لنا جوانب الشخصية الثقافية والفكرية والاجتماعية، لانه يضعها على المحك.

حقيقة الشخصية العراقية عند الروائي ريفية بسيطة حقيقية ساذجة، وربما متخيلة تمتزج فيها الطبيعة الشعبية العراقية في السرد، الذي يمتزج مع المحكي من اللغة اليومية المتداولة، وقد تناسلت الشخصيات عند الروائي شوقي كريم من بعضها في سرد متواصل، فهم جنوبيون من سومر، وتحكي بعض سذاجتنا الجنوبية (السيد ارحيمة يقول- الاناث هن كل ما يجب أن نحلم به!! المعلم

يقول...ويقول...ونحن لا نصدق غير كلمات السيد ارحيمة التي تجعلنا نهيج مثل ثيران بيت موحه)[١١] الانثى مؤثرة في البناء الاجتماعي والروائي، وعليها تقع مسؤولية الاعداد والتربية، فضلا عن أنها الحبيبة التي يحتاجها الرجل، وهي الام والاخت، وهذا التوظيف جاء لتأكيد الحرمان عند الشخص الريفي العراقي، و تأكيد قوة الشبق.

أسماء الشخصيات في رواية (هتلية) شعبية عراقية فيها ملامح جاذبية، وتعبرعن سذاجة المجتمع وبساطته مثل شخصية (ارحيمة) الذي يفضله الناس البسطاء كثيرا على المعلم، و(موحه) تلك الشخصيات التي واجهت الموت والحروب الذي هيمن على الواقع العراقي منذ حقب طويلة، وضحّت بأبنائها من أجل سلامة العراق، وشخصيات(الشيخ، الملا، وارحيمة) تبدو أكثر تأثيراً في المجتمع الساذج من شخصية المعلم المتنوّر، حتى اليوم، ففي عصر التكنولوجيا والتنوير نلاحظ بعض الفضائيات تبثّ برامج عديدة تشجع على الشعوذة والطب الذي يسموه بالطب الروحاني والناس تصدق ما يقولون، ويكونون عرضة للابتزاز (لم يكمل العم الذي عاد من الموت بعد ثلاثين عاما من الموت، لانه شعر بأن ليس ثمة من فائدة، وأضاف أنه وجد هناك.. هناك عند السواتر الامامية البعيدة من ينتظر موته منذ الاف السنوات...علمتنا الحروب أن ليس ثمة من فائدة)[١٢] لافائدة من الحرب سوى الدمار والضياع، وبناء مجتمع مفكك، حين يتذكر الروائي شوقي كريم حرب الثمانينات، ونتائجها، فالحروب تخلق مجتمعا جديدا تعشعش فيه الخرافة، والاستغلال والفقر والجهل، وظهورعادات جديدة ومدمرة وغيرمألوفة، وها هو المجتمع الجديد أيتام وأرامل، وعادات اجتماعية سيئة، هذه هي الحصيلة، والقطاف من الحروب.

وحين الاسترسال مع السرد يعرض لنا الروائي شوقي كريم ملاحظاته عن العمل الاداري في دوائر الدولة العراقية سابقا، وقدسية ذلك العمل الذي يعد جزءً من شرف الموظف وشخصيته سابقا، والحفاظ على السرّية في المكاتبات، المفقودة اليوم، وعرض الروائي مقارنة بين موظف الامس المترفع، صاحب الشخصية المتوازنة، وبعض موظفي الدولة اليوم المبتذلون الذين يتعاملون بالرشوة حيث أصبحت الدائرة دكان عمل أو دلالية، لان الذي يقودهم (هتلية) يتعاملون بالرشوة، فضلا عن ذلك كانت التقلبات النفسية والاجتماعية والسياسية هي من تتحكم في سيرالاحداث، وبناء العمل الروائي.

الاجواء السومرية والاسطورية جزء مهم من فضاء الروائي، وفيها عاش ومازال مغرما ومعتزا بسومريته حتى في رؤياه، وحواراته مع شخصياته المتممة في بناء العمل الروائي فالمكان (كتلة من الاحاسيس والعلاقات وهو في الادب مصنوع من اللغة وان استوحى عناصره من الواقع)[١٣] الفضاء الروائي فضاء خطي، وهو مجموع الاحداث والازمنة والامكنة، وما يدور فيها من صراعات.

ويحفل معجم شوقي كريم الروائي بألفاظ العنكر والقصب والبردي والمشحوف وأوروك والواوي وهناك الكثير من الالفاظ في الرواية، وهذه الالفاظ بعضها من بقايا اللغة السومرية المستوحاة من البيئة الجنوبية التي ستبقى عالقة في الاذهان عند أبناء الجنوب و مستعملة في لغتهم اليومية الدارجة، فضلا عن عادات التبخير، وعادات الاعراس المتوارثة وأهازيجها: (وجبنالك برنو ما ملعوب بسركيهه، تنفرش تحت بساط الرياح مداعبة سركي برنوها بهدوء لتتعالى الزغاريد وتنشر الخرقة البيضاء فوق صينية الفافون)[١٥] هذه عادات مازالت شائعة في مجتمعنا اليوم كبكارة الانثى وخرقة العروس في ليلة الدخلة التي تلوّثها بدم البكارة، وهي دليل الشرف والعفة، وأحلام الروائي شوقي كريم كثيرة ومتنوعة، وبعضها يسردها مع أحداث جنسية كي يجذب القارئ، ويعطي السرد نكهة، ويهيمن على المتلقي حتى لا ينفلت منه، ويهرب خارج العمل الورقي، وربما تكون الاحداث أسطورية كاسطورة أسد بابل: (إن هذا الاسد انما هو رجل راود أخته عن نفسها فمسخه الله حجرا..ليظل شاهدا على دناءة النفس وخبثها)[١٦] سذاجة في تحليل الاثر الحضاري عند الناس، وهو متوارث عندهم، ولا يفسروه تفسيرا حضاريا كما ينبغي، لقد مزج الروائي الواقع بالميثولوجيا*** والاسطورة، وقدم لنا المستوى الفكري البسيط عند الناس في مجتمع فطريّ تسيطرعليه البراءة والسذاجة، وأسطر الروائي شوقي كريم بعض الاحداث لتكون قريبة من الواقع ومؤثرة في نفس المتلقي، وقد تشابك السرد، وتداخلت العصورعند الروائي الذي انفلت منها ليعرض تصرفات (هتلية) ومساوئهم في هذا العصر الذي ألحق ضررا جسيما بالفقراء من الناس، لقد أسقط الروائي الماضي على الحاضر ليعرض الفوارق بين الامس واليوم، الامس كان مشرقا واليوم يعتّم بسبب سوء تصرفات أولئك المتسلطين على رقاب الناس.

ويستثمر الروائي شوقي كريم البناء الروائي ليعرض لنا طفولته البائسة التي هي طفولة أغلب أبناء العراق، ولا سيما ممن عانوا البؤس والحرمان بسبب التهميش والفقر المدقع، و سوء سياسة الدولة التي أبعدتهم عن مسرح الاحداث عن قصد، وجعلتهم طبقة دنيا في المجتمع، ومازالوا يشعرون بذلك حتى حين آلت اليهم السلطة اليوم:(تمتلئ ذاكرتي، بحطامات الطفولة التي غادرت باتجاه الحرمان الذي كان والدي يتركه عمدا بين يدينا، محاولاً لملمة كراهيته، نجلس القرفصاء عند حد الباب نصف الموارب، مراقبين كفيه المغسولتين بعطر الالوان السائحة بالثلج، يومئ اليهم، فينحدرون مثل قطط المزابل، دشاديش مقلمة، وخطوات تكره ريادة الاحلام)[١٧] هؤلاء هم أبناء احدى مدن بغداد الشعبية المكتضة بالسكان مازالوا فقراء ملابسهم من سوق الملابس المستعملة، ولم يذوقوا طعم السعادة حتى في الاحلام، وهي أحلام الروائي الذي تحدث عن أمور شخصية، لكنها تخص العموم البائس، والحصيلة لم تتغيّر أحوال الفقراء حتى في العصر الجديد، كما يسمونه هذه الايام.

طفولة الروائي شوقي كريم بائسة يلفها الحرمان، وكانت تنهش مخيلته، وهو يقدمها اليوم على الورق في هذه الرواية (هتلية)، وقد حاول أن يجعلها من موضوعات الرواية التي ساحت بافكارها في الواقع العراقي المؤلم بالامس كان الحرمان، والسجون واليوم القتل والخطف والضياع والاغتراب، ومن الطبيعي أن يرى الروائي نفسه في عمله الفني، والحديث عن بعض جوانب حياته البائسة، ولاسيما مرحلة السجن.

لقد قدم الروائي شوقي كريم حسن معالجة روائية لظواهر اجتماعية وسياسية في مجتمع مضطرب تحكمه العادات البالية، والتمييز بين الابناء الذكور والاناث على الرغم من أن الاسلام أكد أن المرأة قارورة يجب العناية بها، ولكن يبدو أن بعض سكان الريف بقوا على سذاجتهم وثقافتهم القديمة المتوارثة من الجاهلية، ولم يتحرروا من العادات البالية التي بقيت لصيقة بهم: (–حيل... اضربها...لا ترحم انثى أبدا. الاناث أحذية البيوت التي يجب أن لا تفكر بها إلا حينما تحتاج المرور عبر الطين...اضربها لكي لا تقيم لنفسها وزنا بعد الان... اليد المتراخية لا تؤدب بنتا تذكروا هذا يوم تصبحون أباء...!!)[١٨] شوقي كريم حسن هو من يدير الاحداث ويسيرها، ولا يسمح لشخصياته بالتصرف الا نادرا– كما قلنا سابقا – وهو بطل الرواية الرئيس والراوي العليم وفي بعض الاحيان يكون راويا سيريا يعرض تفاصيل حياته وطفولته البائسة التي يصرح بها دائما في منجزه الادبي، ولا ضير في ذلك.

الثنائية والمفارقة من الاسس التي اعتمد عليها الروائي في السرد لاظهار المفاجئة والضديّة بين أحداث العمل الروائي، من أجل أن تتضح الصورة في ذهن المتلقي، وجعلها عنصر شد وجذب، كي يجعل المتلقي يميّز بين الحاكم والمحكوم في المراحل كافة، وقد قيل وبضدها تتميّز الاشياء: (اللعبة تحتم علينا، أن نكون ملوكا ومنتقمين في آن واحد، أن نكون عبيداً لا تحررهم أفكار ساداتهم بل تدفعهم الى الغواية والشك، الملوك وحدهم من يعرف معنى الحرية، العبيد لا يجيدون العزف على الات أرواحهم التي أدمنت الظلمة والظلم معا)[١٩].

التضاد واضح بين الانثى والذكر، والملوك والعبيد، والترادف بين الظلمة والظلم فضلا عن جمالية البناء الصوتي الذي قصده الروائي بين الظلمة والظلام، وهذا واقع قديم عشناه ومازلنا في رحابه، ولم يتمكن المبشرون بالحرية من الحد من خطورته، فالعبد بالعبد والحر بالحر، على الرغم من وجود دعوة للمساواة، والتمييز بناء اجتماعي قديم مستقر عندنا، ولم تغيّره حتى تعاليم السماء إلا تغييرا نسبيا.

الروائي شوقي كريم حسن تحدث عن الوجع العراقي المزمن، والساري في المجتمع منذ القدم مركزا على بساطة أهله في الممارسات اليومية، ومفردات لغتهم المحكية، وحاول أن يضع لها حلولا على الورق ربما سيهتدي اليها الحاكم، وقد حاول كل من يحكم العراق أن يتكفل بعلاج أمراضه المزمنة، وما تلك سوى خدعة ووعود، وهذه حكاية قديمة أدت الى ضياع الانسان بين تضاريس الوطن، وشعوره بالاغتراب، وما ذلك سوى أضغاث أحلام، كأحلام شوقي كريم في رواية (هتلية) فتبدو الاحوال العامة في تدن، ولو كره الساردون.

التداولية في الالفاظ والافكار، ولا سيما الشعبية باللهجة العراقية الجنوبية، السومرية المتوارثة التي تسود في تضاريس الوطن الجنوبية، متوفرة في العمل الفني الادبي، وهو من مميزات أسلوب شوقي كريم، وقد لاحظناه في رواياته السابقة، وكيف لا وهو المغرم بحب أوروك وسومر والاهوار؟ معتمداً على التغريب، والعجائبية في طرح روايته ممزوجة بالعديد من صور الواقع المأساوي الذي نعيشه وقد افترضه الروائي، ووضع الحلول المناسبة له.

الخاتمة:

ومن خلال ما تقدم، نود الاشارة الى ابرز النتائج التي توصل اليها البحث:

١- ان رواية (هتلية) تجربة شوقي كريم الروائية الجريئة تناولت وضعا اجتماعيا مترديا في المجتمع العراقي، واستعرضت ضياع شعب واغترابه تحت خيمة الوطن جراء تفاقم الوضع الاقتصادي، والامني والنفسي، وضياع آخر جراء وعود الساسة غير الواقعية وزيفهم، فأصبحت تضاريس الوطن منفى للابناء، وهم يئنون من الجراح المتوالية والمتراكمة، والاغتراب داخل الوطن من أشد أنواع الغربة وقعا على النفوس، وكان الله في عون الناس.

٢- التنوع الاثني والعرقي بدا مألوفا في كل دول العالم إلا في العراق، كل فئة تريد حقوقها مجتزءة، وهذا مدعاة للتقسيم والتمزق، ومن أسباب الصراع الدموي المتأجج، المعلن وغير المعلن، بسبب سوء الادارة، وذلك ما أفصحت عنه رواية(هتلية) وها نحن اليوم نبحث عن نهاية للخروج من الوضع المتدني الذي نحن فيه، كي نتفرغ الى البناء والاعمار، وربما ذلك حلم من أحلام الروائي المبثوثة على الورق، والتي تهدف الى توحيد الشرائح الاجتماعية في نظام سياسي واجتماعي تحت خيمة الوطن، وأن حب الوطن جعل الروائي متحمسا في طرح أفكاره حرصا على العراق وأهله.

٣- السخرية في العنوان والاحداث عنصر جذب للمتلقي وسرّنجاح شوقي كريم وتفوقه، وتميّزه في تقديم أعماله الادبية التي تسيطر على تفكير جميع الشرائح الاجتماعية، والجرءة من مواصفات الفنان الروائي، وأحلامه ربما يتحقق بعضها، وربما لايتحقق منها شيء، فنحن في عالم افتراضي، هو عالم الرواية السردي.

هوامش البحث، ومصادره:

١- من وحي الثمانين، د علي الوردي، جمع وتعليق سلام الشمّاع، ط٢، مؤسسة البلاغ، بيروت، ٢٠٠٧، ص٢٠٠

٢- بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠، ص٢٠.

٣- تجاذب الحضارات في الرواية العربية، د. فليح الركابي، دار ضفاف، ص١٤٤.

٤- رواية (هتلية)، شوقي كريم حسن، ٢٠١٦، بغداد، ط١، ص٦.

٥- نفسه ص٧.

٦- نفسه ص١٥.

٧- الشعرية، تزفتان تودوروف، ترجمة شكري المبخوت، ورجاء بن سلامة، طباعة دار توبقال، المغرب، ط٢، ١٩٩٠، ص٤٧.

٨- رواية (هتلية) ص ١٩.

٩- نفسه ٢٢.

١٠- مشكلة الحوار في الرواية العربية، د. نجم عبد الله كاظم، الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤ ص١٧.

١١- رواية (هتلية) ص٣٧.

١٢- نفسه ٤١.

١٣- ذاكرة المكان، عبد الحميد عقار، جريدة القدس العربي تاريخ النشر ٢٠٠٣/٨/١٣.

١٤- رواية (هتلية) ص ٥٦.

١٥- نفسه ص٥٧.

١٦- نفسه ص١٠٦.

١٧- نفسه ص١١٤.

١٨- نفسه ص١١٧.

١٩- نفسه ص١٦٧.

*البروليتاريا الرثة: مصطلح حديث جرى إطلاقه على فئة إجتماعية ظهرت على هامش التحولات السريعة في المجتمعات الحديثة.
المصدر(البروليتاريا الرثة وواقع العراق الراهن، بقلم عادل حبة، مقال منشور في موقع الكتروني باسم مركز النور للدراسات).

**الموسوعة العالمية للشعر العربي / قصيدة حفار القبور، للشاعر بدر شاكر السياب.

***الميثولوجيا: وهو العلم الذي يعنى بتناول جمع ودراسة وتفسير الاساطير الخاصة بالثقافات التي يعتقد بانها صحيحة وخارقة.
المصدر(ويكيبديا، الموسوعة الحرة).